بواكير علوم القرآن في نهج البلاغة "الوحي أنموذجاً"

المدرس الدكتور
عبد السادة محمد الحداد
معهد إعداد المعلمين ـ النجف الأشرف

المقدمة:

كانت العناية بالقرآن الكريم والحفاظ عليه وعلى أداء نصوصه كبيرة على عهد الرسول الأكرم محمد ﷺ ففي مرحلة نزوله والنص القرآني بين يديه ﷺ بوساطة الروح الأمين (جبريل عليه السلام) تدلّ الآيات القرآنية على أن الوحي الذي تلقاه الرسول الخاتم ﷺ كان بتوسيط الملك في أكثر الأحيان كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾[1]، كما كانت أوضح صور الوحي بياناً في كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة هو ما كان عن طريق الملائكة، والوحي كركن أساسي للنبوّة فقد تميز به كل نبي عن غيره من البشر، فهو طابع النبوة وعنوانها الظاهر وجوهرها الأصيل، فالله ﷻ أوحى إلى جميع أنبيائه من أدم إلى محمد صلوات الله عليهم فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2]، وإن إيصال رسالة السماء إلى البشر متمثلة بما يرد عن طريق الوحي وتثبيته في نفوس المؤمنين وفي ألسن القُرّاء فكانوا يتلقون قراءته عن الرسول ﷺ مباشرةً وكانت عناية الرسول نفسه ومتابعته لما ينزل من الوحي تتخذ مجالات عدّة أهمها تدوين الوحي، فكان قد اتخذ كُتّاباً يعتمد عليهم في كتابة الوحي، ومن المواضيع التي تطالعنا في نهج البلاغة هي ظاهرة الوحي، ونجد في خطب الإمام وكلماته الحَكميّة اثنتا عشر مورداً وردت فيه كلمة الوحي ومشتقاتها، ويتضح من خلال التأمّل والتفكير والتدبّر في هذه النصوص واستقراءها أن للإمام علي عليه السلام نظرة تميّزه عن غيره في معرفة ظاهرة الوحي ولإدراكنا عمق المعنى فيما يقوله الإمام عليه السلام.

وقد اقتضى هذا البحث أن يتوزع على ثلاثة مباحث مسبوقاً بمقدمة وانهيتها بخاتمة

وأخيراً ثبت بالمصادر.

المبحث الأول: الملائكة والوحي.

المبحث الثاني: فهم كيفية ارتباط الله تعالى بالأنبياء.

المبحث الثالث: صورة الرسول ﷺ عند تلقي الوحي.

تحديد المصطلحات:

ان تحديد المصطلحات التي يتناولها البحث من خلال كونها تشكل مدخلاً للبحث، وهي تهيأ القارئ لفهم البحث وإزالة الغموض وأهم المصطلحات التي تناولها البحث هي:

١. علوم القرآن، ٢. الوحي.

١- علوم القرآن: ان مصطلح علوم القرآن يطلق على: (مجموعة من المسائل تتناول شؤون القرآن الكريم المختلفة مما يتعلق بمواضيعه خارجة عمّا يضمّه النص القرآني)(٣).

٢- الوحي: فمعناه في لسان الشرع: (أن يُعْلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعَه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سِرِّيّة خفيّة، غير معتادة للبشر)(٤).

المبحث الأول

الملائكة والوحي

لقد أودع الله تبارك وتعالى في كيان كُلّ كائن من الكائنات أدوات تكامله، وجهزه - لسلوك هذا الطريق - بالوسائل المتنوعة والأجهزة المختلفة اللازمة فقسم من الملائكة وهم حملة الوحي من الله سبحانه الموكلين بنقل ما أراد الله ﷻ إلى الرسل والأنبياء(٥)، يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٦)، فلقد اختار ﷻ من الملائكة رُسلاً وسفرة يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي، فهم أمناء الرحمن لا مجال لغير إرادة الله فيهم أصلاً؛ لأنهم محفوفون بعنايته وإكرامه وحفظه(٧)،

كما قال سبحانه: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٨]، وتأسيساً على ما تقدم نورد ما ورد عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة عن مهام الملائكة وصفتهم، ففي معرض حديثه عن مهام الملائكة، قال: «**وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ**»[٩] بيّن الإمام عليه السلام أن قسم من الملائكة إئتمنهم الله تعالى على وحيه وما يريد إبلاغه لأنبيائه، ولما كانت الملائكة واسطة بين الحق سبحانه وبين رسله في تأدية خطاباته إليهم مفصحين لهم عن مكنون علمه حسن التعبير عنهم بأنهم «ألسنة إلى رسله» تشبيهاً لهم باللسان المفصح عمّا في الضمير وإنّما احتيج إلى الواسطة في تبليغ الخطابات وتأديتها، لأن التخاطب يقتضي التناسب بين المتخاطبين، فاقتضت الحكمة توسط الملك ليتلقف الوحي ويبلغه إلى الرسل، وحيث أن الملائكة الكرام الذين هم أُمناء الرحمن على الوحي، موصوفون بالكرامة والانقياد المحض لله تعالى فما دام الوحي في مدارهم وحوزتهم وبأمر من الله عز وجل ينزل إلى عرصة قلب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كما قال الله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[١٠]، فهم أمناء على إيصال الوحي للرسل والأنبياء، والأنبياء والرسل أمناء على إيصاله للناس[١١]، وتعد الأمانة من أبرز سمات الملائكة، وقد أشار الله عز وجل في القرآن الكريم في وصف جبريل عليه السلام ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[١٢].

وأشار الإمام عليه السلام في موضع آخر عن صفة الملائكة فقال من خطبة تعرف بخطبة الأشباح: «**جَعَلَهُمُ اللهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ**»[١٣]، يتناول الإمام عليه السلام في كلامه عن الملائكة الذين جعلهم مستحقين لحمل الأمانة التي هي وحيه وقد جعلهم الله وسائط ينقلون إلى المرسلين من الأنبياء ما أراد الله إيداعه عندهم من أمر ونهي، فهو سبحانه وتعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾[١٤]، والعبارة تشير إلى مدى أمانة الملائكة في إبلاغ الوحي وإيصاله على نحو الدقة دون نقيصة أو زيادة، وأنه لما كان ذو الأمانة هو الحافظ لما ائتمن عليه ليؤديه إلى مستحقه وكانت الرسالات النازلة بواسطة الملائكة نازلة كما هي محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السهو هناك أو عن عمد لعدم الداعي

إليه لقوله تعالى: ﴿يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[١٥]، وهذا الوصف عام لجميع الملائكة لأنهم معصومون من الشك والاشتباه[١٦].

وقوله: «وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته»، وصف الإمام الملائكة بأن الله عصمهم من ريب الشبهات وعدم الخروج عن طاعته، قال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾[١٧]، ولا شكّ أن من لا يعصي الله فهو معصوم عن الخطأ والشكوك الباطلة وهم بمعزل عن هذه الأمور بأسرها، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾[١٨]، ان الآيات تصف طريق بلوغ الوحي إلى الرسل بأنّه محروس بالحفظة يمنعون أي خلل وانحراف فيه، حتى يبلغ الناس كما أنزل من الله تعالى، ويعلم هذا بوضوح مما تذكره الآية من أن الله سبحانه يجعل بين الرسول ومن أرسل إليهم ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، وبينه وبين مصدر الوحي ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾، رصداً مراقبين هم الملائكة، فتبين أن الوحي من لدن صدوره أو ظهوره إلى قلب الرسول الأعظم ﷺ حق لا باطل فيه، وصدق لا كذب معه أصلاً[١٩].

وفي نص آخر قال عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: «**إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ، وَمُصَلَّى مَلَائِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ**»[٢٠]، ذكر الإمام عليه السلام محاسن الدنيا وكيف يستطيع هذا الإنسان أن يستفيد منها ويستغلها لصالحه في دنياه وآخرته، وأرفع ما فيها من محاسن تعبد الأنبياء والصالحون، واتخذوها مركز عبادتهم كما انها المكان الذي تصلي فيه الملائكة، وانها محل نزول وحي الله ففيها كان مهبط جبريل فتشرفت بنزوله عليها وهبوطه فيها، مبلغاً رسالات الله تعالى من آدم إلى النبي الخاتم ﷺ[٢١]، وقوله: «**مَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْراةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢٢].

المبحث الثاني

فهم كيفية ارتباط الله تعالى بالأنبياء

منذ أن بزغ فجر الإسلام، وصدع النبي بتبليغ الرسالة الإلهية بأمر ربّه حيث خاطبه ﷻ بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢٣]، حتى شرع رسول الله ﷺ بإعداد النفوس وتهيئتها لاعتناق هذا اللطف الإلهي والرحمة الربّانية، وذلك بغسل ما علق بها من درن الجاهلية، وإزالة ما غلّفها من رين الشرك، ثم تهذيبها بما يلائم ويوافق قيم الحق ومعايير السماء؛ فاشرأبّت أعناق القوم متطلعة لهذا النور الجديد ولسماع أصول ومبادئ هذه الرسالة من خلال آي الذكر الحكيم التي كان يتحفهم بها رسول الله ﷺ كلّما نزل عليه الوحي، فبهرهم ببيانه الرائع، وأذهلهم باسلوبه البديع، وتنوه أولى آياته نزولاً بالعلم ووسيلته القراءة والقلم مع التذكير بالله ﷻ تذكير هداية وإيمان[٢٤]، وبعثة الأنبياء إلى الناس من الضروريات التي لا بدّ منها، وذلك ان جلّ الناس يقصر عن معرفة منافعهم ومضارهم الأخروية والدنيوية بجزئياتها وكلياتها. فلما كان كذلك منَّ الله تعالى على كافة عبادِه برسل بعثهم فيهم من أنفسهم، فالنبوة سفارة عن الله تعالى في تبليغ القوانين والأحكام الإلهية وإدارة مهام الإنسان، فيجب في الذات النبوية الاستعداد والقابلية والاهلية لذلك، ليحصل للناس الوثوق والاطمئنان بما يخبر عن الله تعالى[٢٥]، ويكون الوحي إذن من مختصاتهم لا يشاركهم به أحد مهما سما، وهو من عند الله وليس من عندياتهم فهم مبلغون ومؤتمون على الوحي، وإن الأنبياء لابدّ من أن يكونوا من قبل الله تعالى ولا دخل لعامة الناس في اختيارهم فعليه لابدّ للأنبياء أن يكونوا مسددين من عند الله مرتبطين به[٢٦] كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢٧]، فلزوم إرسال الرسل والأنبياء ولزوم الإيمان بهم في معرض حديث الإمام علي عليه السلام عن:

أولاً: اختيار الأنبياء.

قال: عليه السلام: «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**»[٢٨] في هذه الفقرات من الخطبة أشار الإمام علي عليه السلام إلى عدّة أصول:

الأصل الأول: اصفائه «جلّ وعلا» من ولد آدم أنبياء وفيه إشارة إلى أنّه لابدّ من أن يكون النبي إنسان ولا يمكن كونه ملكاً وذلك لأن النبي واسطة بين الخالق والمخلوق فلابدّ من كونه مأنوساً مع الناس.

الأصل الثاني: فيه إشارة إلى شرف آدم وعظمته حيث اختار سبحانه أنبيائه وسفرائه إلى خلقه من نسله وهم أصفى بريته لكمالهم وطهارتهم، كما اطلع سبحانه على ذريته آدم فوجد بعض النفوس في قمة الكمال ومستحقين للرسالة والنبوة وهو كذلك بل النبوة والرسالة تليقان ببعض دون بعض ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ**﴾[٢٩].

الأصل الثالث: فقد أفصح الإمام عليه السلام عن شعوره وإيمانه عن ميثاقٍ مأخوذٍ على النبيين للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله فقط وليس عليه لهم، وان الذي أخذ الميثاق أو العهد هو الله تبارك وتعالى على أنبيائه، وهذا ما أكّده القرآن بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَأَنا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾[٣٠]، وعلى هذا ان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله متفرد بهذه الخصيصة والمكانة العالية التي حباه الله تعالى بها[٣١].

وأشار الإمام عليه السلام في موضع آخر فقال عليه السلام: «**بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ**»[٣٢]، بيّن الإمام عليه السلام ان من جملة الخصائص التي اختص بها الأنبياء والمرسلون ان الله سبحانه وتعالى بعث أنبياءه وخصّهم بالوحي الإلهي - الوحي الرسالي - الذي يكون الاتصال غيبياً بين الله تعالى وبين عباده الذي اصطفى لتأدية رسالاته كما في قوله تعالى: ﴿كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٣]، وهذه الظاهرة يشترك فيها جميع الأنبياء والمرسلين الذين إئتمنهم الله سبحانه على وحيه وتبليغ رسالته فقد وصلت عن طريقهم البيّنات وهم الحجة على الخلق ﴿لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٣٤]، وبهذا يتضح عدم مؤاخذة الله سبحانه العباد دون بعث الرسل وإبلاغهم أوامره ونواهيه سبحانه عن طريق الوحي، وإنّه تعالى قد أتمّ الحجة على الإنسان ببعثه الأنبياء وإرسالهم[٣٥].

ثانياً: من خصائص النبي ﷺ:

١- مجيئه على حين فترة من الرسل، قال الإمام علي عليه السلام: «**أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ**»(٣٦).

من خلال هذه الصورة لواقع عاصره النبي ﷺ لابدّ من التذكير بالعصر الذي جاء به النبي ﷺ برسالة السماء؛ فإنّها تكشف عن عظم شخصية النبي ﷺ وقوّة تأثيرها في المجتمع الذي عاصره، والمؤهلات الخلقية والاجتماعية التي تمتع بها النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها حتى ان قريش تلقبه بالصادق الأمين، وجاء القرآن ليثبت هذه الصفة العظيمة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣٧)، فالخصائص التي امتازت بها نبوة النبي الأكرم محمد ﷺ والتي لها الأثر الكبير في منهج الرسالة، وفي تصحيح حركة المجتمع على المسار الصحيح الذي أراده الله سبحانه وتعالى له(٣٨)، فيكون اختيار الزمان والمكان في مدار دقيق يوفر الأسباب اللازمة لتحقيق الغرض ونشر الرسالة فالزمان في ان الله تعالى أرسله بالإسلام بعد مدّة وفترة من الرسل السابقين حين كان النزاع قائماً بين عبدة الأوثان وأهل الكتاب، والمكان هو مكة منطلق الفيض والعودة إلى دعوة إبراهيم عليه السلام(٣٩)، وإنّه ﷺ رسول مَنَّ الله تعالى به على البشر بإرساله على حين فترة، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٤٠)، وان عموم رسالة خاتم النبيين هي إحدى الخواص التي شرّف وكرّم الله بها نبيّه محمداً ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين، فالنبي الخاتم ﷺ واصل مسيرة الأنبياء الماضين وختم به النبوّة والوحي(٤١) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٤٢).

٢- حال الناس قبل البعثة.

قال الإمام علي عليه السلام: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْياً**»(٤٣).

في هذه الخطبة بيان حال العرب قبل الإسلام، وان الله تعالى بعث نبيه محمد ﷺ لكرائم رسالته بين أمة لم تكن تعرف نبياً، ولا تقرأ كتاباً(٤٤)، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤٥).

٣- مهمة التبشير والإنذار.

فقال الإمام علي عليه السلام: «أمين وحيه، وخاتم رسله، وبشير رحمته، ونذير نقمته»(٤٦).

بيّن الإمام عليه السلام جانب من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله فهو أمين على ما أوحى إليه من الكتاب الكريم وشرائع الدين القويم وقد أخبر عنه سبحانه مخبراً عن رسوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾(٤٧)، فتلقي الوحي وإيصاله إلى الناس بكل أمانة من مهام النبي صلى الله عليه وآله، وخصّه بأنّه خاتم المرسلين ليس بعده رسول كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(٤٨)، ومن مهامّه صلى الله عليه وآله التي وردت الإشارة إليها في كلامه عليه السلام مهمة التبشير بالرحمة والإنذار بالعذاب وهذا ما نجده في آيات من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٤٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٥٠).

ولذلك ترى الآيات في مقام بيان شطر من حقيقة الرسول وماهية شخصيته المعنوية من أن ارساله بالحق بشيراً ونذيراً(٥١).

٤- بيان الشهادة والرحمة.

قال الإمام علي عليه السلام: «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ**»(٥٢).

ذكر الإمام عليه السلام الشهادة للنبي بالرسالة وهو العنوان الذي مَنَّ الله به علينا أن نشهد به في كل يوم وليلة في صلواتنا اليومية بعد الشهادة بتوجيه الله تعالى فنقول: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، وهو الذي استخلصه الله من خلقه ينقل إليهم أحكامه ويبلغهم شرائعه ودينه، ووصفه بـ «رسول رحمته» لكون رسالته صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين فهو يعطي العالم أعلى أنواع الثقافة ويحرك فيهم مواقع الفكر لأن فكره وحي الله الذي يمثل الامتداد الطبيعي في كل مواقع الإنسان في الحياة، لأن الرحمة هي العنوان الكبير للإسلام ولحركة الرسول محمد صلى الله عليه وآله(٥٣) كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٥٤).

المبحث الثالث

صورة الرسول محمد ﷺ حين تلقي الوحي

لا عجب أن تتلألأ أنوار الوحي الإلهي في وجدان النبي ﷺ وفي عقله وكل مشاعره وعلى لسانه، فهو أول متلقي للقرآن وأعلم الناس بأسراره وأعرفهم به وهو خير تالٍ للقرآن في آناء الليل وأطراف النهار الذي نزل من عند ربِّ العالمين على قلب خاتم النبيين بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾(٥٥).

قال الإمام علي عليه السلام ذاكراً صفة النبي ﷺ: «**قَائماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُم، وَلاَ وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ**»(٥٦).

وصف الإمام عليه السلام النبي بصفات كريمة يستحق بها هذا التفضيل وهي كونه حافظاً وفاهماً لما أوحى الله به إليه وهو على مستوى عالٍ من الإدراك والاستيعاب والحفظ لوحي الله المنزّل، عارف بحقيقة الحق النازل عليه، في اطمئنان بالغ وسكون نفس وانشراح صدر(٥٧)، إذ يقول: «**وَاعِياً لِوَحْيِكَ**»، وحالة تلقيه الوحي كما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قوله: «**إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار فكان الذي يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه**»(٥٨).

وقال الطبرسي: (ان الله تعالى لا يوحي إلى رسوله إلّا بالبراهين النيّرة، والآيات البيّنة الدالة على أن ما يوحى إليه إنّما هو من الله تعالى، فلا يحتاج إلى شيء سواها، ولا يفزع، ولا يفرق)(٥٩).

إذن فلابدّ أن يكون النبي ﷺ حين انبعاثه نبياً على علم يقين، بل عين يقين من أمره، لا يشك ولا يضطرب، مستيقناً مطمئناً باله مرعيّاً بعناية الله ولطفه الخاص، منصوراً مؤيداً.

وقال الإمام علي عليه السلام في فضل الوحي من خطبة عرفت بالخطبة القاصعة «**وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أُثَرَ أُمِّه، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أَخْلاقِه، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِه وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَة بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذ فِي**

الاْسْلاَمَ غَيْرَ رَسُولِ الله ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا هذه الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»(٦٠).

فقد أشار الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الخطبة إلى جملة من الكمالات التي اختص بها عليه السلام، من اتباعه للنبي وملازمته إيّاه فكان ملازماً له لا يفارقه كالفصيل الذي لا يفارق أمّه بل يلحقها حيث توجهت وكان يرفع له النبي ﷺ في كل يوم عنواناً من عناوين الأخلاق العامة ويأمره بالاقتداء به فكان معلّم الصدق والأمانة والإخلاص وكان يأمره بها ويحثّه على الاقتداء به في هذه الفضائل. ثم ذكر خصوصية أخرى وهي أن النبي ﷺ كان يجاور في غار حراء ويعتزل الناس ويتعبد ولم يكن يراه غير الإمام فهو الوحيد الذي كان يقصده ويراه، وكذلك عندما نزل الوحي على الرسول وبعثه الله نبياً فلم يكن هناك بيت في الدنيا يجمع من المسلمين ما يجمعه بيت رسول الله فقد كان الإمام ثالث ثلاثة كان هو وخديجة ورسول الله يجمعهم في بيت واحد.

ثم بيّن مدى ما وصل إليه من القرب المعنوي والفكري والسمو الروحي أنّه كان يرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوّة وهذا منتهى الوصول إلى هذه الدرجات التي يمكن أن يصل إليها غير الأنبياء فقد أدرك الوحي والرسالة وخصائص الدين والإيمان.

وقد أخبر الإمام عمّا وقع له وسمعه من صوت الشيطان لما بعث الله نبينا صلوات الله عليه فإن الشيطان صاح بجنوده يستعلم ما الخبر فقالوا له: ان الله بعث محمداً فيئس من ان يُعبد ثم أشار إلى أن الإمام يسمع كما يسمع النبي ويرى مثلما يرى ولما كان يخشى ان يظن أحد بتساويهما نفى عنه النبوة وأثبت له الوزارة وأنه لعلى خير(٦١).

ونظراً إلى إن الوحي والنبوّة ورسالة الرسول الأكرم ﷺ هي مظاهر للهداية وللحكمة الإلهية يمكن أن نستنبط من هذا الكلام العلوي عدّة نقاط نشير إلى بعضها تباعاً:

١- الوحي والرسالة موجودان نورانيان ولهما نور معنوي يمكن رؤيته بعين الروح.

٢- ان مشاهدة نور الوحي والرسالة واستشمام رائحة النبوّة والاستماع إلى تضجر

الشيطان هي من الخصوصيات التي تفرّد بها الإمام عليه السلام.

٣- ان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي هو واجد لهذه الكمالات العالية، ليس له منزلة النبوّة والرسالة، وهو ليس سوى وزير رسول الله صلى الله عليه وآله(٦٢).

ملخص البحث:

تعتبر ظاهرة الوحي من الموضوعات المهمة التي تناولها علماء علوم القرآن، ومن أجل الوقوف على التعريف بهذه الظاهرة، والتي تجسّد لطف الله سبحانه ببعث الأنبياء والرّسل من لدن آدم إلى أن ختمهم بنبوّة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتلقى الوحي بكلِّ روحه وكيانه لأنّ مهبطه ونزوله هو القلب الشريف للنبي صلى الله عليه وآله فهو يرى الوحي ويسمع حديثه، لكن لا بهذه السمع والبصر الماديّتين وإلّا لكان أمراً مشتركاً بينه وبين سائر البشر، فيسمع الآخرون كما يسمع هو، وورد أن علياً كان يسمع ما يسمعه رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى ما يراه، ولا غرابة إذا ما كان للإمام علي عليه السلام باع طويل في علوم القرآن وفهم ظاهرة الوحي خاصة فهو مَنْ لازم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتربّى في بيت النبوّة وسمع القرآن من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتلوه، ولقد مثلت مفردات الوحي عند الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، مرجعاً فكرياً هاماً لتداخله مع نصوص خطبه وحكمه.

هوامش البحث

(١) سورة الشعراء: الآية ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٣.

(٣) دروس في علوم القرآن: نذير الحسني، ٣١.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني، ٤١/١.

(٥) ظ: سيد المرسلين: جعفر الهادي، ٣١٣/١.

(٦) سورة الحج: الآية ٧٥.

(٧) ظ: تفسير كنز الدقائق: محمد بن محمد المشهدي، ١١٥/٩.
(٨) سورة عبس: الآية ١٣ - ١٦.
(٩) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١، ص٩.
(١٠) سورة الشعراء: الآية ١٩٣ - ١٩٤.
(١١) ظ: منهاج البراعة: حبيب الله الخوئي، ١٨/٢.
(١٢) سورة الشعراء: الآية ٢١.
(١٣) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ٩١/ ص٨٦.
(١٤) سورة فاطر: الآية ١.
(١٥) سورة النحل: الآية ٥٠.
(١٦) ظ: منهاج البراعة: حبيب الله الخوئي، ٣١٣/٦، شرح نهج البلاغة: عباس الموسوي، ٨٦/٢.
(١٧) سورة التحريم: الآية ٦.
(١٨) سورة الجن: الآية ٢٧ - ٢٨.
(١٩) ظ: محاضرات في الإلهيات: جعفر السبحاني، ٢٧٧.
(٢٠) نهج البلاغة: الشريف الرضي، ٣٧٣.
(٢١) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٣٠٦/١٨، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي التستري، ١٢/ ٥٤، شرح نهج البلاغة: عباس الموسوي، ٣١١/٥.
(٢٢) سورة التوبة: الآية ١١١.
(٢٣) سورة العلق: الآية ١ - ٥.
(٢٤) ظ: الصحيفة النبوية الجامعة: محمد باقر الأبطحي، ٧.
(٢٥) ظ: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ٢٠٤.
(٢٦) ظ: العقائد من نهج البلاغة: محسن علي المعلم، ١٢٨، العقائد الحقة علي الصدر، ٢٣٥.
(٢٧) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.
(٢٨) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١/ ص١٠.
(٢٩) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٣٠) سورة آل عمران: الآية ٨١.
(٣١) ظ: الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوحي: يحيى بن حمزة الحسيني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: محمد تقي النقوي، ١/ ٢٢٢، نفحات الولاية: مكارم الشيرازي، ١/ ١٤٠، حياة النبي وسيرته: محمد قوام الوشنوي، ١/ ٨٠.
(٣٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٤٤/ ص ١٤٣.
(٣٣) سورة الشورى: الآية ٣.
(٣٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٣٥) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٣/ ٤٩٣، الوحي والنبوة: عبد الله الجوادي الآملي، ٣٧، سيرة الرسول الأعظم في نهج البلاغة: هاشم الميلاني، ٨.

(٣٦) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٣٣/ ص ١٣٦.

(٣٧) سورة القلم: الآية ٤.

(٣٨) ظ: النبي الأعظم ووجوده النوري، مسلم الداوري، ١٢.

(٣٩) ظ: بلاغة الرسول: د. ناصر راضي، ١٣.

(٤٠) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٤١) ظ: محمد في القرآن: رضا الصدر، ٢٥٣، خصائص النبي في القرآن: علي الافتخاري، ٤٩، سيد المرسلين: جعفر الهادي، ١، ٣٥٠.

(٤٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤٣) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٠٤، ص ١٠٥.

(٤٤) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ٧/ ١٩٩.

(٤٥) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٤٦) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٧٣، ص ١٧٩.

(٤٧) سورة الشعراء: الآية ١٠٧.

(٤٨) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤٩) سورة البقرة: الآية ١١٩.

(٥٠) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٥١) ظ: محمد في القرآن والقرآن في محمد: محمد اليزدي، ٦٠، نفحات الولاية: مكارم الشيرازي، ٦، ٣٤٩.

(٥٢) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٩٨، ص ٢٢٨.

(٥٣) ظ: محمد في القرآن والقرآن في محمد: محمد اليزدي، ٤٠، الحبيب المصطفى: محمد حسين فضل الله، ٣٦.

(٥٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٥٥) سورة الشعراء: الآية ١٩٣ - ١٩٤.

(٥٦) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ٧٢، ص ٦٠.

(٥٧) ظ: الأمثال النبوية: د. علي عبدالفتاح، ٩، التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، ١/١١٣.

(٥٨) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ٢/ ٢١٣.

(٥٩) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ١٠/ ١٧٤.

(٦٠) نهج البلاغة: الشريف الرضي، الخطبة ١٩٢/ ص ٢١٩.

(٦١) ظ: شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ١٣/ ٢٥٤، شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ٢/ ٧٧٣، شرح نهج البلاغة: عباس الموسوي، ٣/ ٣٤٨.

(٦٢) ظ: الحياة العرفانية للإمام علي عليه السلام: عبد الله الجوادي الآملي، ٥٣.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

١- الأمثال النبوية، د. علي عبد الفتاح علي، دار الوفاء - مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢- بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس واصلاح المجتمع - دراسة في الصحيحين -، د. ناصر راضي الزهري، دار البصائر - مصر - الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، منشورات دار أمير كبير، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤- تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٥- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، منشورات مؤسسة شمس الضحى - طهران - الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ.

٦- التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

٧- الحبيب المصطفى، محمد حسين فضل الله، منشورات المركز الإسلامي الثقافي - بيروت - الطبعة الاولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م.

٨- الحياة العرفانية للإمام علي عليه السلام، عبدالله الجوادي الآملي، منشورات دار الإسراء - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٩- حياة النبي وسيرته، محمد قوام الوشنوي، منشورات دار الأسوة - قم - الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٠- خصائص النبي في القرآن، علي الافتخاري، منشورات مؤسسة أنصاريان - قم - الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١١- دروس في علوم القرآن، نذير الحسني، منشورات مركز المصطفى العالمي - قم - الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

١٢- الديباج الوصي في الكشف عن أسرار الوحي، يحيى بن حمزة الحسني، منشورات مؤسسة الإمام زيد الثقافية - اليمن - الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الحسن بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، منشورات الشريف الرضي - قم - الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٤- سيد المرسلين، جعفر الهادي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي - قم - الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ.

١٥- سيرة الرسول الأعظم في نهج البلاغة، هاشم الميلاني، منشورات العتبة العلوية المقدسة - النجف الأشرف - من دون طبعة، ١٤٣٢هـ.

١٦- شرح نهج البلاغة، عباس علي الموسوي، منشورات دار الرسول الأكرم - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٧- شرح نهج البلاغة، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله الشهير بابن أبي الحديد، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - من دون طبعة - ١٣٢٩هـ.

١٨- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي البحراني، منشورات دار الحبيب - قم - الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.

١٩- الصحيفة النبوية الجامعة، محمد مرتضى الأبطحي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٠- العقائد الحقة، علي الحسيني الصدر، منشورات دار الغدير - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢١- العقائد من نهج البلاغة، محسن علي المعلم، منشورات دار الهادي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٢- محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم - الطبعة الثامنة عشر، ١٤٣٥هـ.

٢٣- محمد في القرآن، رضا الصدر، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٤- محمد في القرآن والقرآن في محمد، محمد اليزدي، منشورات الاعتماد - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.

٢٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٢٦- مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي، منشورات قائن - طهران - الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، منشورات دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٨- منهاج البراعة شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٩- النبي الأعظم ووجوده النوري، مسلم الداوري، منشورات دار جواد الأئمة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٣٠- نفحات الولاية شرح عصري جامع لنهج البلاغة، مكارم الشيرازي، منشورات مؤسسة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٣١- نهج البلاغة، الشريف الرضي، منشورات دار التعارف - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٢- الوحي والنبوة، عبد الله الجوادي الآملي، منشورات دار الإسراء - قم - الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.